## صندوق الحكايات

# المؤذن والسكين

جائزة سوزان مبارك فى أدب الطفل عام ٢٠٠١ (المركز الأول)

تأليف ورسوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

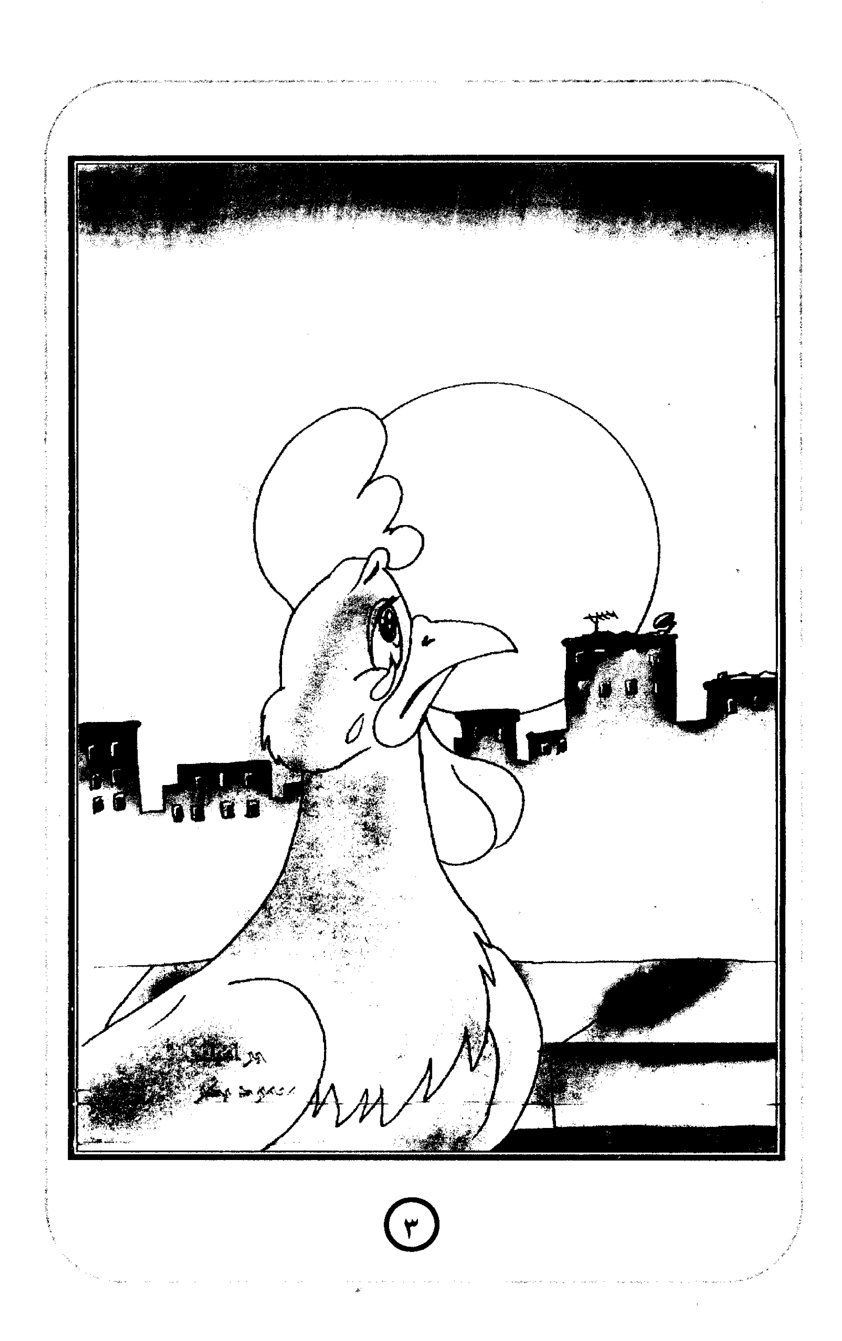
ت: ٢٢٥٧٨٨٢

# المؤذن والسكين

دمعتْ عيناهُ وهو يُشاهدُ نُورَ الفجـرِ، حَـاول أنْ يَفـتَحَ فَمـهُ، لكـنَّ زوجَتَـهُ المُخلصـةَ انتفضـت بسُـرعةٍ ووضعت جَنَاحَيْهَا علـى فَمِـهِ، وهـى تَنظُـرُ لـه نَظْـرةَ عتابٍ حانيةٍ.

فَنَظر إلى الأرضِ، وقـد تحطمـت بداخلـهِ أشياءٌ كثيرة.

إلى متى؟ إلى متـى سـيظلْ هـذا الصـراعُ النفسـى بداخله؟ كيف يمكنه أنْ يرى بعينيه نورَ الفجـرِ فـى طريقه إلى الدنيا ويمنـعُ صـوتَهُ مـن الآذان ... لمـاذا لا يعلنُ إلى الدنيا مولدَ يومٍ جديدٍ، إنه دورُهُ الـذى خُلِـقَ من أجْلِهِ.



التفـت إلى زوجتـه الدجاجـةُ الطيبـةُ المخلصـةُ البيَّاضـةُ، نعـم البياضـة، فهـذه أهـم صـفاتها، إنهـا بياضة لقد نجتْ بفضلِ تِلكَ الحيلة وهـذه المهـارةُ مـن الذبح.

نعم كيف يَذْبحونَ دجاجة تبيضُ كل يومٍ، إنها كَنْزٌ لا يمكنُ التَفْريطَ فيهِ.

أمـا هـو، فيالـه مـن مِسـكينٍ إنـه ينتظـرُ دورَه دائماً، كلما تذكرَ كلماتَ صاحبةَ البيـتِ الست حنـان تمزقَ قلبُه رُعباً، ولاحقَتْهُ الكوابيسُ فـي نومِـه، إنـه يَتَذَكَرُهَا دائماً وهى تُكرر نصيحةَ أمِهَـا الغاليـة (إذا أذّنَ الديكُ يكون ذَبْحُهُ حَلالاً، إياكِ أنْ تَذْبَحيـهِ مَـا لمْ يُـؤَذِنْ) لم يعـد باستطَاعَتِه أنْ يَتَحَمَـلَ هـذا التهديـدَ المستمرَ منذُ شهورٍ وهو يحاولَ إخفاء عَرْفَهُ الجميلَ،



وهو يعلمُ أنَّهُ فَخَـرَ رُجُولَتِـهِ، كُلَّمَا جَـاءَتْ حنـانُ إلى العُشَةِ لتَجْمَعَ البيضَ، دَفَنَ رأسَهُ بينَ الدجَاجِ ليَخْتَفِىَ عن عَيْنَيْهَا المُتَفَحِصَتَيْن، حَـاوَلَ دائِمـاً أنْ يَبـيْضَ لَكِـنْ دون فَائِدَة..

كـم شَـعُرَ بضـآلتِهِ أمـامَ صِـغَارِهِ وهُـمْ يُحَـاوِلُونَ تَجْرِيْـبَ أصـواتِهِمُ المُتَحَشْـرِجَةَ الضـعيفةَ، مازَالَـتْ عُيُونَهُم مُتعلقةٌ بعُرْفِهِ الضَخمِ الجميلِ وهُمْ يَتَسَاءَلُون عَنْ دَوْرِهِ.

كم سَمِعَ أبْنَاءَ الجِـيرَانِ علـى الأسـطح يَسْخَرُونَ مِنْ أبْنَائِهِ وتظاهر بعدم الاهتمام، وهو لا يسـتطيعُ أنْ يَضَعَ عينيه فى أعيُنِ صِغارِهِ.



لَكِنَّ كُلَّ هَذَا لا يُسَاوِى عِنْدَهُ شَيْئاً أمَامَ مَا يَشْعُرُ بِهِ عندمَا يَرى نورَ الفَجرِ. إنه حياته كلها كُلمَا نَظَرَ إليه تَقَطَّعَ قلبُهُ وكلمَا نَفَشَ رِيشَه وأرَادَ الآذانَ تَذكَرَ حَدَّ السكِينِ فَحَاوَلَ جَاهداً أنْ يَكْتُمَ صَوْتَهُ..

إلى متى.. إلى متى؟ يَسمعُ آذانَ الفجرِ ولا يُشَارِكُهُ فرحته .. إلى متى يرى الملائكةَ تطوفُ فى السماءِ تشكرُ وتحمِدُ وتسبِّحُ رَبَّهَا ولا يُشَارِكُهَا المناجاة والتسبيحَ. كل أقْرَانِهِ من الديوكِ على أسطح الجيرانِ يَتَبَارَوْنَ وهو هكذا.. ينتظر أنْ تطلعَ الشمسُ لتُجَفِفَ دُمُوعَهُ نعم لقد جَرَّبَ صَوْتَهَ فى الخَفَاءِ كثيراً أنَّه يعلمُ أنَّهُ الأقوى.. ولكنَّهُ ليس أقوى من حد السكينِ، كل شيء يدور فى رأسه..

لكـن هـذه الليلـةُ ليسـت كَكُـلِّ ليلـة لقـد منعـه التفكيرُ من النوم، ذلكَ القمرُ أكْمَـلَ صَـفْحَتَهُ الجميلـةَ الليلةَ وأصبح بدراً، إنَّه يـرى حولـه الملائِكَـةَ تُنَـاجِي رَبَّهَا مـا أروعهـا مـن ليلـةٍ، واسـتعد الفجـرُ ليُصَـارِعَ الظلامَ.. كعادَتِه ولكنْ أيُّ ظَلامٍ هَذَا فى تِلْـكَ اللحظَـاتِ الرائِعَةِ.

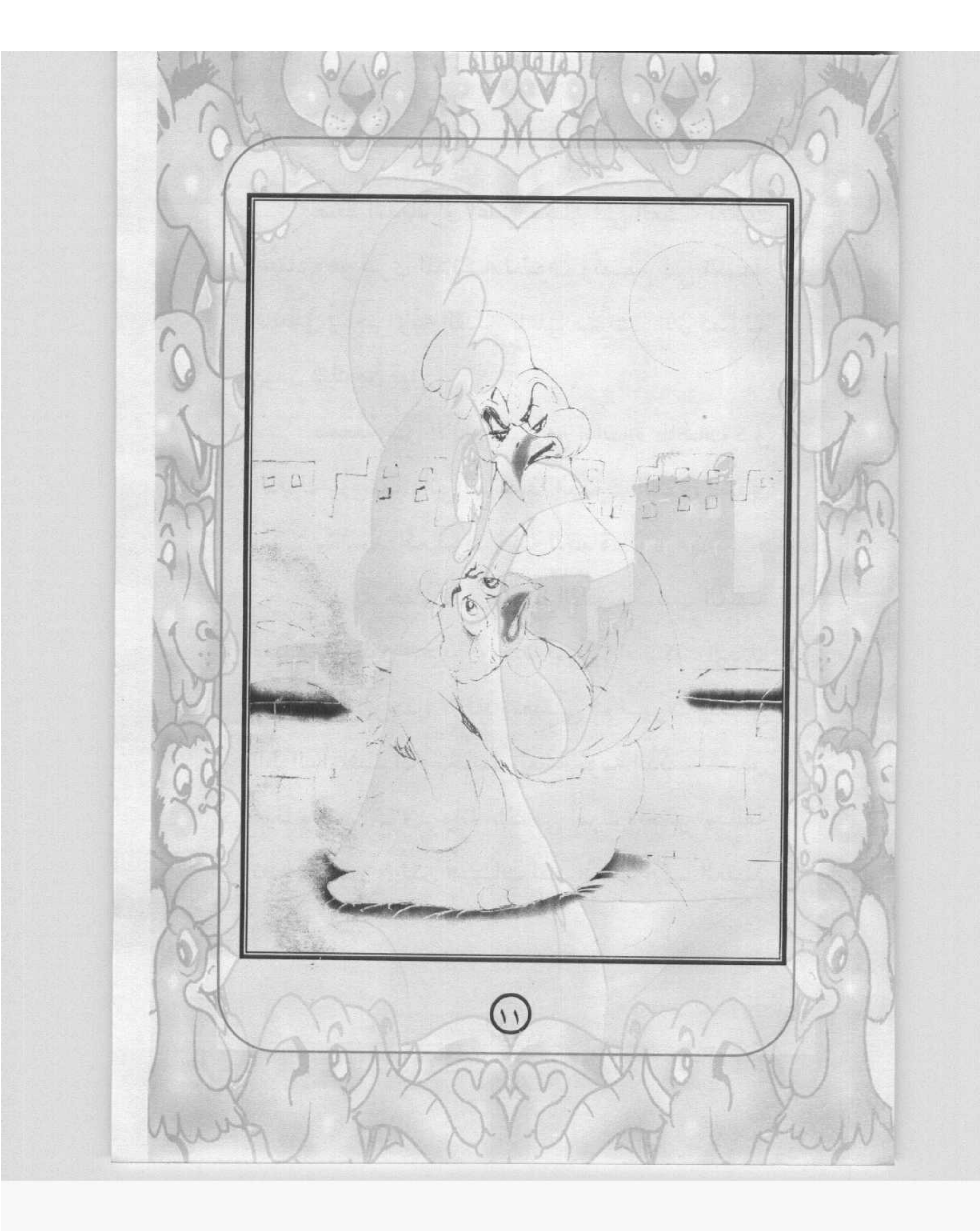
إنَّهُمَا نُورَانِ.. نُـورُ الفَجْـرِ ونـورُ القَمَـرِ هـاهى الديوك كلـها تسـتعدُ للمبـاراةِ الحاسمـةِ.. مـن مِـنْهُم سيفوزُ بتلكَ الليلةِ العظيمةِ.

هيهاتَ أنْ يَرى كُلَّ ذلـك ويبقـى صـامتاً لقَدْ آنَ الأوانُ أن يرفـع رأسَـهُ ويَـنْفِش رَيْشَـهُ ويـنفُخَ عُرْفَـهُ،

يَجبُ أن يُؤَدِى دَوْرَهُ ويُثْبِتَ قُدْرَتَهُ ولَـوْ لِمَـرَّةٍ واحِـدَةٍ فى حَيَاتِهِ حتَى ولَوْ كَانَ ثَمَنَ ذَلِكَ رُوْحَهُ.

دَمعتْ عَيناهُ.. زوجَتُهُ الصامدةُ تَفْهَمُ كلَّ شَـىءٍ، تَفْهَمُ أنَّه لم يَعُدْ بإمكانه أنْ يَصْمِتْ ولم يَعُدْ بإمكانهـا مَنْعَهُ وهى تَـراهُ قَـدْ نَفَـشَ رِيْشَـهُ ومَضَـى نَحْوَهَـا فـى خُطُوَاتٍ ثَابتَةٍ وبعيـونٍ صَـارمَةٍ وقَـدْ رَفَـعَ رَأسَـهُ لأول مَرَّةٍ فى حَيَاتِهِ.. إنها تفخرُ بهِ وتَخَافُ عَليْهِ.

احتضَنَ الديكُ النَّبيْلُ زَوجَتَـهُ فَبَكَـتْ لم تَسْـتَطعْ أنْ تَمْنَعَ دَمُـوعَ الفِـراقَ، قَبْـلَ أطْفَالِـهِ النَّـائِمِينَ.. وفـى محاولـةٍ أخَـيرةٍ تَشَـبَّثَتْ الدجَاجَـةُ النَّبيلَـةُ بزَوْجِهَـا لِتَمْنَعُهُ، ولَكنْ هَيْهَاتَ لقد عَزَمْ.



صَعَدَ الـديكُ إلى أعلـى مَكَـان فـى العُشَّـةِ لَمَعَـتْ عَيْنَاهُ وهوَ يَـرَى المَلائِكَـةَ تَطُـوفُ وتُسَـبِّحُ فـى السَـماءِ فانطَلَقَ يُنَاجِى ربَّه القدير بأعلَى صَوْتٍ.. أذَّنَ كمَـا لَـم يُؤذن دِيكٌ مِنْ قَبل..

سَمِعَتْهُ كُـلِّ الآذان مـا أرْوَعَ آذانِـهِ، طَأطَـأتْ كـل الديوكُ رُؤُوسَهَا وأنَّى لها بِهَذَا الصَّـوْتِ القَـوى الـذِى أنَّهُ لا يُنَافَسُ، إنَّهُ صَوْتٌ تَمَنُّهُ الحياة.

فقَفَزَتَ حنانُ مـن نومِهـا القلـق بِجَانِـبِ العُشَّـةِ وَبيَدِهَا السِكِّينْ الحَادُ، وبكِلْتَا يَـدِيْهَا أمْسَـكَتْ الـديكُ وصَرَخَتْ وافرحتاه .. لقَدْ أتعبتنى كم سَهرْتُ اللَّيَـالِى الطِوَالَ أراقبك أنام بجانب العُشَّة نَومَةَ الذِّئبِ أُغمـض عيناً وأفتح أخرى، وأنا أشك فى أمرك وأحذر مخالفةَ نصيحةَ أمي .. لكن هيهـاتَ لَقَـدْ أذَّنْـتَ أيهـا العنيـد وحَلَّ ذَبْحُكَ.



لَمْ يكن الذبحُ حِينُها يُسَاوى شَيئاً عِنْدَ الديكِ فَقَدْ أطَلَّ برأسِهِ إلى الحريةِ الحقيقيةِ ونَاجَى رَبَّهُ لأوَل مَرَةٍ فى حَيَاتِهِ.. لقد رَأى وهُوَ يُؤذِّنْ أطْفَالَهُ يرفعُونَ رُؤُوسَهُمْ فَخْراً لَقَدْ عَرَفُوا قِيمَةَ أبَاهُمْ عَرَفُوا كَيْفَ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ، عَرَفُوا أنَّ الحُرِيَّةَ ليسَتْ فى الطعامِ أو الشَرَابِ ولَكِنَّهَا فى أن تَرْفَعَ رَأسَكَ ولا تَخْشَى سُوَى خَالِقِكَ.

كَانَتْ الدَجَاجَةُ تَبْكِى بُكَاءَ اليَتِيمِ والأطْفَالُ يُصَوْصِونَ وَيَسْخَرُونَ مِنْ أطْفَالِ الجِيرَانِ وَيَسْألُونَهَا أينَ ذَهَبُوا بأبى.. ولا تَدْرِى بِمَا تُجِيب.

لكنَّ الديكَ الصَامِدَ لم يكُنْ يَهْتَمْ بقَبْضَةِ حَنَانٍ ولا بسِكِّينِهَا، إنَّه يفخر بقدومه على الموت إنه شهيدُ واجبِهِ ولِسَانَهُ يُردد..

(قل لنْ يُصِيبَنَا إلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا)

انْطَلَقَتْ حَنَانُ تَعْبُرُ السُلَّمَ إلى دَاخِلِ البَيْتِ وقَدْ ذَاقَتْ حَلاَوَةَ الانتصار.

التفتَ زوجها الحاجُ بَيُّومِي قَائِلاً ما الذى بيَدَيْكِ؟

فقالت فَرِحَةَ: لَقَدْ انْتَصَرَتْ أخِيراً لقد أذَّن الديكُ اللَّئِيمُ وَحَلَّ ذَبْحَهُ كَمَا قَالَتْ أمى، سَتَذُوقَ اليومَ شُورَبَةَ الدِّيكِ وَلَحْمَهُ الطَّرِىُّ .. لَمْ يَتَمَالَكْ الحاجُ بَيُّومِي نَفْسَهُ وانْتَفَضَ صَارِخاً فى وَجْهِهَا:

اتركيه ما يُفِيدنى ذبحهُ؟ وقد صليتُ الفَجْرَ على آذانِهِ، لقد آنَ لِبَيْتِنَا أنْ تَزُورَهُ الملائكة ونستيقظَ على آذان الديوكِ.. هيَّا أعيديه فَورًا.

لم تَمْلِكْ حَنَانُ إلاَّ أنْ أعَادَتْهُ إلى العُشَّةِ وقَدْ تَعَلَمَتْ شَيْئًا جَدِيدًا أفضل مِنْ نَصَائِحِ أمها الغالية.

لَقَدْ عَرفَتْ قِيمَةَ آذانِ الدِّيكِ فالطَّعَامُ لَيْسَ كلُ شَيءٍ.

فَرِحَتْ الدَّجَاجَةُ بزَوْجِهَا الحَنُون .. وجَفَّ الدَّمْعُ فى عَيْنَيْهَا.. والتَفَّ حَوْلَهُ صِغَارَهُ فى زَهْوٍ عَجِيبٍ كُلٌ مِنْهُم يَقُولُ هذا أبى.

رَفَعَ الديكُ رَأسَهُ إلى السماءِ فَذَرَفَتْ مِنْ عَيْنَيْهِ دُمُوعُ الشُّكْرِ، ومِنْ يَوْمِهَا لم يَكُفْ الدِّيكُ عن الآذان وصِغَارُه يُرَدِّدُونَهُ خَلْفَهُ.